الدرس: ٨٠

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: الاثنين ١٣ شوال المكرم ١٤٤٥ ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى حجية ظواهر الكتاب فأجبنا عن احتمال سقط بعض القرائن المتصلة بالآيات لما ادّعى من وقوع التحريف فيها، فقلنا بأن احتمال التحريف متف. ولو أصرّ أحد بوجود احتمال التحريف، فنقول بأن الروايات التى أمرت بعرض الاحاديث على القرآن الكريم و طرح ما

يخالفه و الاخذ بما بوافقه ترشدنا الى حجية ما هو الموجود اليوم بين أيدينا من الآيات القرآنية.

ولولا ذلک فلم نکن نقبل دعوى صاحب الکفاية، حيث قال: المانع عن حجية الظهورات فى آيات الاحکام العلم التفصيلى أو الاجمالى بسقوط کلام متصل بآيات الاحکام. هذا هو المانع عن حجية تلک الظهورات.

فنقول: يا صاحب الکفاية! هل العقلاء يوافقونکم فى ذلک؟ لو أن شخصا ارسل الينا رسائل و علمنا بضياع بعض تلک الرسائل و بعض تلک الرسائل ليس لها اثر عملى، و لکن هل العقلاء يعملون بتلک الرسائل التى لها اثر عملى ولو يحتملون أن الساقط المعلوم اجمالا کلام متصل بها و مانع عن ظهورها، هل العقلاء يعملون بما فى تلک الرسائل؟ نحن لا نجد ان العقلاء يوافقون صاحب الکفاية فى العمل بتلک الظهورات، بدعوى أن الکلام المحذوف لعله کان کلاما منفصلا أو کان کلاما متصلا بغير الظهورات المرتبطة بعمل المکلف.

ثم بعد ذلک قد يدّعى ابتلاء ظهورات القرآن الکريم بالاجمال الحکمى. يقال: بأن القرآن النازل لم يحرّف، و هو کلام مبين، لکن

نعلم اجمالا بوجود مخصصات و مقيدات فى الروايات لعمومات القرآن الكريم. و هذا العلم الاجمالى يوجب تساقط اصالة الحجية فى ظهورات القرآن الكريم. اجابوا عن ذلک بأن هذا العلم الاجمالى ينحل بالفحص و الظفر بمقدار معتدبه من الروايات التى تشتمل على مخصصات و مقيدات لبعض عمومات القرآن الكريم. و الا فيسرى هذا الاشكال الى عمومات الروايات التى يعلم بوجود مخصصات لها اجمالا.

كل ذلک الى الآن كان حول احراز ظهور القرآن الكريم و أنه ليس مجملا لا ذاتا و لا عرضا بنكتة العلم الاجمالى بالمخصصات و نحو ذلک.

ثم بعد ذلک لابد أن نجيب عن شبهتين حول حجية ظهورات الكتاب. بعد ما نقحنا الصغرى و هو أن ظهورات الكتاب ثابتة و غير مختلة، لكن هناک شبهتان تحدّد اساس حجية ظهورات القرآن الكريم:

الشبهة الاولى: ما يقال من أن الظهور يعنى احتمال الخلاف، فى قبال النص. النص لا يحتمل فيه معنى آخر، و لكن الظاهر يحتمل فيه معنى آخر. فالظاهر من مصداق المتشابه. المتشابه ما كان ذا احتمالين، و

هذا يشمل ما لو كان احد الاحتمالين ظاهرا من الكلام. و قد قال تعالى «فأما الذين فى قلوبهم ضيق فيتبعون ما تشابه منه».

إن قلت: من أين احرزتم أن الظاهر مصداق للمتشابه، فلعله ليس مصداقا للمتشابه؟

فيقال فى الجواب: احتمال كون الظاهر مصداقا للمتشابه يكفى فى عدم احراز امضاء الشارع لبناء العقلاء على حجية الظهور بالنسبة الى ظهورات الكتاب.

اجيب عن ذلک بعدة وجوه:

الوجه الاول: ما ذكره السيد الخوئى: من أن المتشابه هو الكلام المجمل. المتشابه من باب التفاعل من الشبه، فإذا كان كلام ذا احتمالين شبيهين من جهة عدم وضوح اى منهما من اللفظ، فهذا هو متشابه. اما الكلام الظاهر فالمعنى الظاهر منه ليس شبيها بالمعنى غير الظاهر. فيختص المتشابه بالكلام المجمل.

أورد فى البحوث على هذا الجواب بكلام سبقه فى ذلک السيد الطباطبائى فى كتاب الميزان، فقال: اصلا لا يوجد كلام مجمل فى القرآن الكريم. إذا كنت تريد أن تطبّق عنوان المتشابه على الكلام

المجمل فاعلم أن القرآن لا يشتمل على كلام مجمل فإن القرآن بيان للناس، نور، تبيان لكل شيء. هذا اولا.

و ثانيا: فى الآية الكريمة يقول الله سبحانه و تعالى "فأما الذين فى قلوبهم ضيق فيتبعون ما تشابه منه"، الكلام المجمل لا يقبل الاتباع. إذا صدر من شخص كلام مجمل مو معلوم يقول تفضل أى ادخل بيتى أو يقول تفضل يعنى روح. فهو يدخل بيت هذا الشخص فلا يقال اتبع كلامه. هو أخذ بكلامه؟! كلامه مجمل. تفضل يعنى شنو؟ يعنى ادخل بيتى أو روح؟ فقوله تعالى "فأما الذين فى قلوبهم ضيق فيتبعون ما تشابه منه" لا ينطبق على حمل الكلام المجمل على أحد معانيه، فهذا ليس اتباعا له.

فإذن معنى اتباع المتشابه اتباع ما يظهر من المتشابه.

إن قلت: فما هو معنى قوله تعالى" " فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله"، فإن التأويل حمل اللفظ على معنى ليس ظاهرا فيه، و الا فلا يسمى تأويلا. فإذا قلت اتباع المتشابه يعنى حمل المتشابه على ظاهره فهذا لا يسمى تأويلا.

فيقال فى الجواب: أنتم أخطأتم فى تفسير لفظ التأويل. التأويل فى مصطلحنا الحديث نعم يعنى حمل اللفظ على خلاف ظاهره أو حمل اللفظ على ما ليس ظاهرا فيه كما لو كان مجملا. ولكن التأويل فى اللغة بمعنى الارجاع. التأويل يعنى ارجاع الشيء الى مصداقه. فكشف مصداق آية يسمى تأويلا. مثلا الرحمن على العرض استوى، هذا مفهومه واضح، لكن له مصداق مادى و هو السلطان الذى يجلس على كرسيه و يحكم و هو مستول. وله مصداق معنوى خفيّ على عامة الناس، و هو أن الله سبحانه و تعالى مسيطر على العالم كله، فمن فى قلبه ضيق يريد كشف المصداق و لكن لأجل أن فى قلبه ضيقا يرجع الآية الى المصداق العادى، فيقول الله سبحانه و تعالى جسم و يجلس على كرسيّ فى العرش و تجتمع الملائكة حوله. و قد يجيء فيصير "وجاء ربک و الملک صفا صفا". لكن الراسخون فى العلم يبتغون تأويله الصحيح و ارجاعه الى مصداقه الصحيح الخفى على الناس.

السيد الطباطبائى فى تفسير الميران يقول: ليس بين آيات القرآن آية واحدة ذات اغلاق و تعقيد فى مفهومها بحيث يتحير الذهن فى فهم معناها، كيف و هو افصح الكلام و من شرط الفصاحة خلو الكلام عن الاغلاق و التعقيد، و الاختلاف كل الاختلاف فى المصداق، فإن

الانس و العادة يوجبان لنا ان يسبق الى اذهاننا عند استماع الالفاظ كلفظ الحياة و السمع و البصر و التكلم الوجودات المادية لمفاهيمها و هو الذى دعا الحشوية و المجسة أن يجمدوا على ظواهر الآيات فى التفسير، و ليس فى الحقيقة جمودا على الظواهر و إنما هو جمود على العادة و الانس فى تشخيص المصاديق. فعلينا أن نفسر القرآن بالقرآن و نستوضح معنى الآية من سائر الآيات، و قد قال تعالى: و نزلنا عليک الكتاب تبيانا لكل شىء، و حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شىء و لا يكون تبيانا لنفسه و قد قال تعالى "هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان" و قال "انزلنا اليكم نورا مبينا"، و كيف يكون القرآن هدى و بينة و فرقانا و نورا مبينا للناس فى جميع ما يحتاجون و لا يكفيهم فى احتياجهم الى نفس القرآن و هو اشد الاحتياج. و قال تعالى "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"و أى جهاد اعظم من بذل الجهد فى فهم كتابه و أى سبيل اهدى من القرآن؟

تأملوا فى هذا المطلب المهم الذى أدى السيد الطباطبائى الى أن يقول و السيد الصدر ايضا تبعه فى ذلک أن القرآن كله بيّن و كله نور، لا اجمال فيه ابدا. فهل هذا صحيح و هل يمكن الاكتفاء بفهم القرآن بنفس القرآن، و أن الائمة عليهم السلام اساتذة يرشدون الناس الى كيفية

فهم القرآن من نفس القرآن، يربّونهم على ذلک، و الا فإذا كان التلميذ فهمه جيد و يستوعب، هو يصل الى مقاصد القرآن من نفس القرآن بهداية من الائمة أى بإرشاد من الائمة. بعد ما الائمة يرشدونهم الى ذلک هم يفهمون، كالطالب الذى يذهب الى المدرسة، مدرّس الحساب (على قول الايرانيين مدرس رياضيات) هو يبين المطالب للطالب أو للتلميذ و لكنه هو يهتدى و بعد ذلک لا يحتاج الى الاستاذ. هل هذا صحيح أو لا نتكلم عن ذلک فى الليلة القادمة إن شاءالله.

و الحمد لله رب العالمين.